الهوية الثقافية وإشكالية العولمة في الفكر العربي المعاصر

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة قسم الفلسفة،
مخبر تكوين المجتمعات وديناميكية الأقاليم
الدكتورة نعيمة إدريس
dris.naima@ensc.dz

https://doi.org/10.5281/zenodo.7738386

الملخص:

يتعرض المقال بالتحليل والنقد للعلاقة مابين الهوية والعولمة هذه الأخيرة التي شكلت تهديدا لهوية وثقافة الشعوب والأمم خاصة العربية منها، مما دفع بمفكريها لمناقشة الإشكالية . المجتمعات العربية عموما تتميز بالانفتاح وتقبل الآخر والتعايش معه، لكن مشكل العولمة هو إرادة فرض نموذج على الجميع. لقد تجاوزت العولمة الهدف كونها عولمة اقتصادية التي جرفت بفقراء العالم إلى واقع بائس مأساوي من جهة وزادت الأغنياء ثروة وجشعا من جهة أخرى ، إلى كونها عولمة تكنولوجية كان لها الأثر الكبير في تحديد الهويات الثقافية للأمم ، الإنسان أصبح مهددا في عاداته وتقاليده وفكره وثقافته أمام عولمة تكنولوجية تسعى إلى خلق ثقافة عالمية موحدة، والخطر على العالم العربي كبير باعتباره لا يملك الكثير من قوى المقاومة والتصدي. هذا ما نناقشه في بحثنا مدعومين بعض المفكرين العرب.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، العولمة ، العولمة الثقافية، الفكر العربي.

Abstract

Title: Cultural Identity and the Problem of Globalization in Contemporary Arab Thought

This article analyses and critiques the relationship between identity and globalization, which has posed a threat to the identity and culture of peoples and nations, especially in the Arab world. This has prompted Arab thinkers to discuss this problem. Arab societies, in general, are characterized by openness and acceptance of others and coexistence with them, but the problem with globalization is its imposition of a model on everyone. Globalization has surpassed its goal as an economic globalization, which has swept the poor of the world into a miserable reality on the one hand and increased the wealth and greed of the rich on the other hand. It has become a technological globalization that has had a major impact on determining the cultural identities of nations. Humans have become threatened in their customs, traditions, ideas, and cultures in the face of technological globalization that seeks to create a unified global culture. The danger

to the Arab world is great, as it does not have much resistance and means to confront this challenge. This is what we discuss in our research, supported by some Arab thinkers.

Keywords: identity, culture, globalization, cultural globalization, Arab thought

مقدمة:

مازال مصطلح العولمة يثير المخاوف والنقاش رغم أنه ظهر منذ عقود من الزمن ورغم أن العولمة تغللت في النسيج العمراني الإنساني إلى أبعد الحدود. لكن من جهة أخرى تجد العولمة مقاومة من طرف الكثير خاصة في تهديداتها المعنوية ، وبهدف الإلمام أكثر بالأبعاد التي يثيرها مصطلح العولمة أحاول في هذا المقال أن أتحدث عن علاقة العولمة بالهوية الثقافية في الفكر العربي المعاصر والتي ناقشتها مؤلفات وأبحاث عديدة ، مما يبرز أن العولمة أرقت ومازالت تؤرق النخبة العربية التي نبهت لهذا الخطر الذي يتجاوز دائرة المال والاقتصاد إلى ما هو أخطر ، العولمة تهدد كياناتنا الثقافية وقد تقضي على هويتنا التي تميزنا عن سائر الأمم وبالتالي الخطر وجودي ،يتعلق بكينونتنا **أن نكون أو لا نكون** في عالم اتضحت فيه معالم القوة والسيطرة من الضعف والتبعية ، ولكن هذا لا يعني الاستسلام وإنما نحاول أن نحدد موقعنا من ميزان القوة هذا علنا نجد مخرجا أو حلا ومن ثمة من الضروري علينا كعرب ومسلمين أن نجيب عن مثل هذه الأسئلة:

كيف يمكن أن تكون العولمة تهديدا لهويتنا ؟ وهل يمكن إيجاد نوع من العلاقة معها دون الذوبان فيها أو التماهي مع قيمها ؟

كيف هو موقف بعض مفكرينا من إشكالية العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية ؟ لكن قبل ذلك نقدم ضبطا مفاهيميا للكلمات المفتاحية للبحث .

مفهوم الهوية :

هي كلمة ليست عربية الأصل، وهوية الشيء وعينيته ووحدته وشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد كل واحد من حيث تميزه عن الأغيار يسمى هوية "[1]

لكن هذا التحديد اللغوي لكلمة الهوية لا يعطيها المعنى الحقيقي ، باعتبار أن مفهومها متشعب .

فالهوية في معناها المجرَّد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر، فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر.

[1] عبد المنعم الحفني :المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،ط3، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000، ص 911.

ومن ثمَّ يمكن القول: إن الهوية هي الكيفية التي يُعَرِّف الناس بها ذواتهم أو أُمَّتهم، وتتخذ اللغة والثقافة والدين أشكالاً لها؛ فهي تنأى بطبعها عن الأحادية والصفاء، وتنحو منحى تعدديًّا تكامليًّا إذا أُحسن تدبيرها، ومنحى صداميًّا إذا أُهملت وأُسيء فهمها، تستطيع أن تكون عامل توحيد وتنمية، كما يمكن أن تتحوَّل إلى عامل تفكيك وتمزيق للنسيج الاجتماعي، الذي تؤسِّسه عادة اللغة الموحدة .[2]

وبما أنه ورد في عنوان المقال الهوية الثقافية نقف عند مصطلح:

الثقافة هي الأخرى من المصطلحات المطاطة تتعدد تعاريفها بين المفكرين ولعل أشهر تعريف الذي قدمه إدوارد تايلور : "هي ذلك الكل الذي يشمل على المعرفة والعقائد والفن و الأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع معين[3].

وبداهة يمكن أن نجد أواصر الصلة بين الثقافة و الهوية ، فالثقافة بمكوناتها الدسمة المتنوعة المادية والمعنوية تشكل هوية ما متفردة عن باقي الهويات، هذا ما يبرر القول **بالهوية الثقافية** ككيان ينمو ويتطور تعنى بتجارب وخبرات ومعاناة وانتصارات أمة ما، هي في علاقة مستمرة مع الهويات الثقافية الأخرى .

لكن **العولمة** وهي تمثل ثقافة الاختراق بلغة الجابري تحاول الهيمنة على الهوية الثقافية للأفراد والأمم الأضعف عن طريق الترسانة الإعلامية والاقتصادية والعسكرية من هنا يمكن تصنيف **أنماط غزو العولمة إلى** :

العولمة الاقتصادية التي جرفت بفقراء العالم إلى واقع بائس مأساوي من جهة وزادت الأغنياء ثروة وجشعا من جهة أخرى ، و **العولمة التكنولوجية** التي كان لها الأثر الكبير في تحديد الهويات الثقافية للأمم ، فالإنسان أصبح مهددا في عاداته وتقاليده وفكره وثقافته أمام عولمة تكنولوجية تسعى إلى خلق ثقافة عالمية موحدة ، ما يفوق 8578 قمر صناعي تدور حول الأرض حسب إحصائيات أكتوبر 2022 وفقًا لمؤشر أجسام الفضاء **الخارجي التابع للأمم المتحدة**، تتبع هذه الأقمار لـ75 دولة، حوالي 5,058 قمرا صناعيا ينتمي إلى الولايات المتحدة، تليها روسيا بـ1375 قمرا صناعي[4]. مرسلة إشاراتها اللاسلكية إلى كل الشعوب فبواسطة هذه

---

[2] عبد المنعم الحفني :المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ص 568

[3] المرجع نفسه

[4] https://www.arabiaweather.com/ar/content/%D9%83%D9%85-%D8%B9%D8%AF%D8%AF-% كم عدد الأقمار التي تدور حول الأرض

الصور الموحدة على ملايير شاشات التلفزيون، تتشابه الأحلام والأماني[5] في إطار ما يسمى بالعولمة التكنولوجية التي أصبحت جد جلية .

و من هذا الزخم المتمثل في البث الإعلامي التلفزيوني و الاستعمال الواسع لشبكة الإنترنت وغيرها من وسائل التواصل والتفاعل ،الذي أصبح يربط كل مناطق العالم من خلال أجهزة الكمبيوتر وما اخترع بعدها من وسائل ساهمت العولمة في تفعيل العمليات الاتصالية ، مجسدة مصطلحات جديدة ألغت الفارق الزماني و المكاني وبدا العالم في اتصال دائم بما يحدث في مختلف أرجاء العالم ، ومن هنا نشهد في ظل العولمة التكنولوجية تجاوزا للحدود الجغرافية ، فلا مكان منعزل ، ولا وطن مستقل ، ولا ثقافة محصنة [6].

إن ما تفعله التكنولوجيا بهوية الإنسان داخل دولة ما ، تفعل مثله بثقافات مختلف الأمم في العالم ككل، فقد سيطرت التكنولوجيا على المستهلك واستسلم لها ، ومن ثم ما كان على معظم الدول إلا أن تخلت آليا عن جزء من استقلالها الثقافي ، فانتشرت النمطية في الإنتاج و الاستهلاك داخل الدولة الواحدة وفي سائر الأمم .

لكن إذا كانت الظاهرة الثقافية في مثل هذا الواقع تنتشر بسرعة عبر أنحاء العالم، وإذا كان من المسلم به أن السرعة والسهولة الانتشارية للأنماط الثقافية المختلفة تكون لصالح الأقوى ، ذلك الذي يمتلك الوسائل والإمكانات التكنولوجية ، فإن السؤال الذي يمكن طرحه :**كيف سيكون حال الثقافات الأخرى أمام الثقافة الطاغية في ظل العولمة ؟**

يقول السياسي بينور الوزير الفرنسي السابق:: " لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية "[7] ، وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة الثقافية ، و هي وجهة العالم نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية .

ويعود الفضل إلى التطورات الاقتصادية والمنجزات الإعلامية الكبيرة في تلاشي التفرد الثقافي تدريجيا، أما ما يسمى **بالعولمة الثقافية** التي تخدم أهداف النظام العالمي الجديد حيث تفرض نموذجا ثقافيا موحدا ، أي **عولمة الثقافة** تهتم ببروز ظاهرة المركزية الثقافية وهي نظرة لا تخلو من التعالي العنصري ، ففي حالة تحقق المركزية الثقافية ، تكون ثقافة ما مركزا ، وبقية الثقافات هامشا والتي تحاول بلوغ مستوى الثقافة المركز، لكن ليس من خلال فعل الإبداع وإنما التقليد.[8]

ومنه فإن أغلب المفاهيم المتداولة اليوم في عالم الثقافة والفكر تنطلق في جوهرها من محورية الغرب الذي يسعى إلى خلق مركزية ثقافية أساسها إشاعة قيم أسلوب الحياة الغربية، وهنا يتضح أن العولمة الثقافية تقوم على

---

[5] هانس بيتر وهارالدوشمان : فخ العولمة (الإعتداء على الديمقراطية والرفاهية) ترجمة عدنان عباس علي، المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت 1998، ص 200

[6] مي عبد الله سنو : الإتصال في زمن العولمة ، التحديات الجديدة، الدار الجامعية للطباعة والنشر الإسكندرية ،1999،ص 81.

[7] علي الشابي: اللغة العربية ،المجلة العربية للثقافة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس 1990،ص1.

[8] زكي يونس الفاروق: تقديم لكتاب نظرية الثقافة ، سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،ع 288 ، 1997،ص7.

إيديولوجيا الاختراق التي تهدف إلى القضاء على الهوية الثقافية للأمم ، ونشر ثقافة العولمة ، وجعلها أكثر رواجا على الصعيد العالمي .

وخطر هذه العولمة الثقافية على الأمة العربية الإسلامية أكبر ،لأنها لا تقدر أن تتهرب من العولمة ، باعتبار أن هذه الأخيرة تفترض في المقام الأول أن الشعوب والثقافات والحضارات لا تستطيع أن تتجنب بعضها البعض[9] .

تحدي العولمة الصارخ الذي يهدد هويتنا استشعر خطورته الكثير من المفكرين الذين أبدوا قلقهم، مما أدى إلى طرح عديد التساؤلات و الاستفسارات ، كما أدى إلى اختلاف رؤى الباحثين والمفكرين حول هذا الموضوع، من رافض للعولمة باعتبارها غزوا ثقافيا ، إلى مرحب بها باعتبارها انفتاحا ثقافيا لا ضرر من ورائه، بل على العكس إنها تعمل على إثراء وتنويع الخبرة الثقافية .

الفكر العربي والدفاع عن الهوية :

أولا موقف مالك بن نبي : إن موضوع الثقافة من أهم المواضيع التي يجدر بالمثقف أن يشتغل بها بشكل خاص ، ذلك أنه كما يقول ابن نبي " إن أي إخفاق يسجله المجتمع في إحدى محاولاته ، إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية "، بهذا فالثقافة عند ابن نبي " مجموعة الصفات الخلقية و القيم الإجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته و تصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه "[10] و على هذا " فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته ... فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة و الذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر و هكذا نرى هذا التعريف بين دفتين : فلسفة الإنسان ، و فلسفة الجماعة مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجامهما في كيان واحد "[11] .

فالثقافة حسب مالك بن نبي التي ينشدها الفكر الإسلامي ثقافة إنسانية شاملة لأنه يستمد ذلك من عالمية رسالة الإسلام ، و هذا ما تقرره نصوص الوحي من مثل قوله تعالى : { و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا ...}[12] ، بيد أن الثقافات الموجودة اليوم ثقافات إستلابية مبنية على مرجعيات لا تجعل للوحي وزنا ، بل إن جذرها المعرفي يدل على فلسفتها ، فهي قهرية المعنى خارجية المصدر فهي الغرس من الخارج بعد تفريغ الداخل و ليست ذاتية المصدر جوانية المنبع، لهذا فإن التعامل معها يكون تعامل مستفيد مميز بين الغش و مناهج الغير .

فالعالم الإسلامي في اعتقاد مالك بن نبي انتظمت حياته و ذلك عن طريق الربط بين المغرب و المشرق بفكرة الثقافة ، والتي تجمع في ردائها قيم الفكر و التقاليد و العادات . و قد أكد ابن مالك بن نبي على هذه الصلة

---

[9] أحمد البغدادي : الإنسان المسلم وعصر العولمة ،ندوة المسلم في التاريخ ،الدار البيضاء ،المغرب ،1998/03/27 ص 23.

[10]– مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، دمشق ،سوريا ، ط1 ، 1959 ، ص74 .

[11]– مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،ط6 ،2006، ص83 .

[12]– سورة سبأ : الآية 28 .

الموجودة عن طريق المناقشات التي دارت رحاها بين كل من الغزالي في المشرق و ابن رشد في الأندلس بالرد و التمحيص[13] .

فالمثقف العربي حسب مالك ابن نبي لم يشهد هذا الانفصام في حياته إلا بعد انحراف النظام العربي و سقوطه في فخ علمانية الغرب على مستوى نظام الحكم ، و النتيجة هي تغرب المثقف باعتباره الممثل الأول لمرجعية الأمة ، و الحارس الأمين لقيمها الثقافية ، و البديل الذي يقدمه ابن نبي لهذا و ضرورة وجود صلات حميمية بين النخبة المثقفة و فئات معينة من المجتمع القادر على الإطلاع بمهمة التدعيم المادي لنشاط الفكر[14] يقول مالك بن نبي " وليس من شك في أن نظرات المثقفين إلى المدنية الغربية لمؤسسة على غلط منطقي إذ يحسبون أن التاريخ لا يتطور و لا تتطور معه مظاهر الشيء الواحد الذي يدخل في نطاقه ... إن أكبر مصادر خطئنا في تقدير المدنية الغربية أننا ننظر إلى منتجاتها و كأنها نتيجة علوم و فنون و صناعات و ننسى أن هذه العلوم و الفنون و الصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصة، و هل هذه العلاقات الخاصة في أصلها سوى الرابطة المسيحية التي أنتجت الحضارة الغربية من عهد شارلمان ؟ و لسوف تصل في النهاية إذا ما تتبعنا كل مدني من مظاهر الحضارة الغربية إلى الروابط الدينية الأولى التي بعثت الحضارة "[15] .

وبهذا فالمثقف المسلم حسب مالك بن نبي ملزم أن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي[16]و يعتقد ابن نبي أن عالم الأشخاص لا يمكن أن يكون ذا نشاط اجتماعي فعال إلا إذا نظم و تحول إلى تركيب اجتماعي فالفرد المنعزل حسب رأيه لا يمكن أن يتقبل الثقافة و لا أن يرسل إشعاعها وكذلك أن الأفكار و الأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية إلا إذا تلقت أجزاءها وأصبحت تركيبا فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبدا[17] .

كذلك مالك بن نبي يرى أن من بواعث الحوار الحضاري الانفتاح عل العالمية فالانغلاق والعزلة مجافيان لطبيعة الإسلام الحركية الاتصالية المتطلعة للقاء والتعارف ، كما أن التقدير السليم للأمور و الأفكار يتطلب أكبر قدر من الانفتاح على العالمية وفي هذا يقول "فالضمير الانساني الذي لم يألف العمل على حدود الثقافات تسيطر عليه

---

[13]– نور الدين مسعودان : مالك ابن نبي بقلم معاصريه ، عن كامل مسقاوي : مالك بن نبي من التكديس إلى البناء دار النون ،(د.م)، ص7

[14]– مالك بن نبي : التأملات، دار الفكر ،دمشق ، سوريا، ط6 ،2006 ، ص78 .

[15]– مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر ،سوريا ،دمشق ،ط5 ، 2005 ،ص ص 80.81

[16]–مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ،ص116.

[17]– زكي ميلاد ، من أجل المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ، دار الشاطبية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط3 ، 2012 ، ص73 .

عادات جاذبية مزمنة تحمله على أن يرى الأشياء من زاوية ضيقة "[18] "،وهذه النظرة تحرمه من التواصل الحضاري وممارسة دوره الثقافي والحضاري. إذن فمن الجوهري بالنسبة للمجتمع المسلم أن يتخلص من النفسية الانعزالية الموروثة عن قرون الانحطاط حتى يثبت حضوره في العالم ولاسيما عندما يؤلف الطبقة المثقفة في البلاد. ،كما لا يغفل مالك ابن نبي دور القيم الأخلاقية في تيسير التفاعل الثقافي الإنساني ، فالأخلاق هي التي تقوم بوظيفة ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض بأواصر المحبة و التعايش، ودون قيم التسامح وتقبل الآخر لا يمكننا تأسيس أي بناء ثقافي الذي هو عماد أي بناء حضاري، ومسؤولية المسلم مضاعفة في هذا المقام.

و لكي يقوم برسالته لا بد من تحقيق أمرين الاقتناع و الإقناع ،و أول الإعجاز هو الاقتناع لأن فاقد الشيء لا يعطيه و ذلك بأن يقتنع أن له رسالة لا بد من تبليغها ،ثم يقوم بعد ذلك بإقناع الآخرين ، و لا يتوفر ذلك إلا بتغيير ما في داخل المسلم في أغوار نفسه و حول المسلم في محيطه الخاص أو في محيطه العالمي و هذا شرط جوهري لقوله تعالى { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }[19] .

إذن لكي يتحقق التغيير في الواقع المحيط لا بد أن يتحقق أولا في أنفسنا، و لكي يتحول التغيير إلى واقع عملي يفي بمهمة الإنقاذ فيجب على كل مسلم أن يحقق ثلاثة شروط :

* أن يعرف نفسه .
* أن يعرف الآخرين .
* أن يعرف الآخرين بنفسه .

إذ لا يجوز للمسلم أن يجهل ما في نفوس الآخرين و لا أن يشعر بأنه أعلى منهم ، بل عليه أن يعلم ما في نفوس الآخرين ليتقي شرهم و ليخاطب جانب الخير فيهم ، و لتبليغهم برسالة الإسلام ، بالحكمة و القدوة الحسنة ، في حين يتم تعريفه للآخرين بنفسه عن طريق التغلب على رواسب التخلف و التأخر و إعطاء سورة محببة كما جاء بها الإسلام و إذا استطاع تحقيق هذه الشروط فهو بذلك يقوم بإنقاذ الإنسانية من الأزمة الراهنة التي تعاني منها و يستطيع أن يرتفع إلى مستوى الحضارة من جديد[20] مستوى تتحقق فيه كل الثقافات والهويات بعيدا عن منطق القوة والاستعلاء الذي تنشده العولمة الطاغية .

ثانيا :موقف الجابري : يرى الجابري بأن الهوية "وجود وماهية ، وفي المجال البشري ، مجال الحياة الاجتماعية على الأقل ، الوجود سابق للماهية دوما ، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائيا، بل هي شيء يتشكل شيء

---

[18]–مالك ابن نبي:مشكلة الثقافة ، دار الفكر ،دمشق، ط4 ، 1984 ،ص99.

[19]– سورة الرعد ،:الآية 13 .

[20]– عبد اللطيف عبادة : فقه التغيير عند مالك بن نبي ، عالم الأفكار النشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2007 ، ص 197 .

يصير"[21] ، أي أن الهوية ليست كيانا جامدا بل هي كيان متحرك متطور ، بحيث نجده كمفاهيم وقيم و أطر تتمدد في الوسط الاجتماعي ، وتلقي بقيمها وأنماطها وأنساقها على كافة تفاصيل الحركة الاجتماعية التي تقوم بدورها بعملية معكوسة حيث تغذي الذات وتزيد من شموليتها، ووعيها.[22]

أما الثقافة يعرفها الجابري ""إننا نقصد بالثقافة هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات، والتطلعات التي تحفظ لجماعة تشكل أمة أو في ما معناها في إطار ما تعرف من تطورات بفعل دينامكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء"[23] .كما يوضح الجابري أنها ذلك الوعاء الذي تنصهر فيه إبداعات وتطلعات الأمم ، وبواسطتها تتمايز المجتمعات وتتواصل فيما بينها.

ومنه فإن الثقافة بكل ما تحمله من عناصر الماضي والحاضر وحتى المستقبل ما هي إلا محاولة لفهم الآخر، وإعادة ترتيب العلاقة بين الأنا والآخر انطلاقا من هذه العناصر.

كما يعرف الثقافة بقوله "هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم "[24]

يلزم عن هذا التعريف لزوما ضروريا النتيجة التي أكدها الجابري كأطروحة عرضها في الندوة العربية لمركز دراسات الوحدة العربية وهي أنه " **ليست هناك ثقافة عالمية واحدة ، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة ، حيث تعمل كل منها بصورة تلقائية وبتدخل إرادي من الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة** "[25]

ومن هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق أو الانكماش، ومنها ما يميل إلى التوسع ومنها ما يفضل العزلة، أي الثقافة هي الكيان الذي يتواجد فيه التفكير وتطلعات المجتمع الذي يحفظ خصوصيته وهويته ، من هنا نلاحظ أن الارتباط لزومي بين الثقافة والهوية لا انشطار بينهما هذا يؤدي بنا إلى مفهوم الهوية الثقافية عند الجابري.حيث حددها في ثلاث مستويات :الفردية والجمعوية، ووطنية قومية، والعلاقة بين هذه المستويات تحدد أساسا بنوع الآخر الذي تواجهه [26].

والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة هي في مد وجزر حسب أنواع الصراع أو اللاصراع التي تحركها المصالح الفردية والجمعوية و الوطنية القومية .

---

[21] محمد عابد الجابري : مسألة الهوية :العروبة والإسلام والغرب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، أفريل 1995، ص10.

[22] محمد محفوظ :الإسلام والغرب وحوار المستقبل ،ط 1 المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1998، ص 147.

[23] محمد عابد الجابري :العرب والعولمة ، ثقافة الإختراق، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2، بيروت ،ديسمبر، 1998،ص 297.

[24] المرجع نفسه ،ص 298.

[25] المرجع نفسه ،ص 198.

[26] الجابري: العرب والعولمة ،ص 198.

كما يؤكد الجابري أنه " لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها جماعة الوطن ،الأمة ،الدولة[27]، فالهوية الثقافية لا تبرز خصوصيتها الحضارية إلا إذا تجسدت في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر.

أما فيما يخص **العولمة** :فالجابري يؤكد "أن العولمة تشير إلى محاولة تعميم نمط حضاري ،يخص بلدا بعينه ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية على بلدان العالم أجمع ، وهي تعني الأمركة أي نشر وتعميم الطابع الأمريكي"[28] وبذلك تمثل صورة من صور الهيمنة بل هي " مابعد الاستعمار ،باعتبار المابعد في مثل هذه التعابير لا يعني القطيعة مع الماقبل، بل يعني الاستمرار فيه بصورة جديدة"[29]

إذا من التعريف نلحظ الوجه السلبي للعولمة عند الجابري باعتبارها إيديولوجيا ذات طابع تسلطي أساسا.

إذا كيف تتحصن الهوية من خطر العولمة التي تفرض نفسها؟

إن الانغلاق كحل يجابه به المسلمون العولمة حل سلبي ، غير فاعل وغير مجد أمام فعل الاختراق بلغة الجابري لأن الانغلاق في هذه الحالة بهدف تحصين الذات ، لكن هل نفهم من رفض الانغلاق، الدعوة إلى الانفتاح والارتماء في أحضان ثقافة الاغتراب ؟

يجيبنا الجابري :" إن ثقافة الاغتراب، أعني إيديولوجيا الارتماء في أحضان العولمة و الاندماج فيها ، ثقافة تنطلق من الفراغ ، أي من اللاهوية، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبني هوية ولا كيانا ".[30] نحن بحاجة إلى الجمع بين النقيضين ، ربما ننخرط في عالم العولمة التي لا مفر منها لكن كمساهمين فاعلين نحمي هويتنا ونبرز خصوصيتنا الثقافية ونحميها من التلاشي والذوبان و التماهي مع الآخر بإبداع آليات دفاع ثقافية فكرية ذكية وأخرى اقتصادية تكنولوجية تمكن من مواجهة الثقافة الغربية، التي تحاول أن تحدث انشطارا في هويتنا وذلك من خلال إقامة حواجز بين العرب و الإسلام ، و ربط هذا الأخير بالمهاجرين والإسلام وجعل النفط هو المحدد الأساسي لهوية العرب المسلمين ،إن الخلط المتعمد للمفاهيم الإسلامية يعود أساسا لطريقة التفكير الغربية التي تقوم على أساسين هما : **إثبات "الأنا" لكن من خلال نفي "الآخر"** بوضع سيناريو يصور الإسلام كخطر قادم بل كدين يرفض الحوار جملة وتفصيلا .[31]

طه عبد الرحمان :

---

[27] المرجع نفسه، ص 299

[28] الجابري: قضايا في الفكر العربي المعاصر ،ص 137.

[29] المرجع نفسه ،ص 137

[30] المرجع نفسه ، ص 13

[31] نعيمة إدريس : الحوار الحضاري وتحديات العولمة ، ضمن أعمال مؤتمر :**الفلسفة وسؤال المستقبل** ،إصدار الجمعية الفلسفية للدراسات الفلسفية ط 1، 2014، ص 136.

وبهدف الوقوف على الأبعاد الخطيرة لهذا السلاح قدّم لنا مفكرنا طه عبد الرحمان في كتابه "الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري" نماذج حاسمة من أساليب ما أسماه **الاعتداء المفهومي** حيث يقول: **في دفع التحديات المفهومية التي تواجه أمتنا الإسلامية، لكي تجد طريقها إلى فكر مستقل مبدع وأفضى بنا التفكير إلى أن نجهز أنفسنا لجهاد مفهومي في ساحة الفكر الفلسفي .**

إن أغلب أصحاب المناهج والمشاريع في قراءة التراث، بنو مجدهم وشهرتهم على ما تساقط إليهم من مناهج الغربيين وأفكارهم، واندفعوا في تقليد فلاسفة الغرب، وتعلقوا بأسباب لا تمت إلى أسبابهم ، فافتقدوا حاسة النقد لديهم ، فاستنكروا لهويتهم.

يقول **طه عبد الرحمان: أنظر كيف أن المتفلسفة العرب المعاصرين يؤولون إذا أوّل غيرهم ويحفرون إذا حفر غيرهم ويفككون إذا غيرهم فكك**... لهذا وضع مشروعا لفلسفة إسلامية تستقل برؤيتها و مجالها التداولي، فكل فلسفة لها قوميتها، وسياقها التاريخي واللغوي والفكري، وهذا من أجل فتح آفاق جديدة للنظر في أوضاع العالم العربي الإسلامي، والخروج من أزمته الحالية، وهذا بمراجعة المفاهيم ونقدها وإنشاء ما ينسجم مع ما يستشكله المتفلسف العربي في معترك الحضارة المعاصرة ،من ذلك

يرى **طه عبد الرحمان** أنّه من الضروري إعادة النظر في المفهوم المتداول للعولمة، القائم على أنّ العالم واحد من العلاقات المطلقة ، بل إن العالم علاقات مقيدة بالأخلاق ومكرسّة للمسؤولية حيث يقول :"... **فالعولمة هي السعي إلى تعقيل العالم بما يجعله يتحوّل إلى مجال واحد من العلاقات الأخلاقية، أو قل مجال علاقي أخلاقي واحد"**[32] ومن هذا المفهوم الخاص للعولمة ضرورة الارتقاء بالتعقيل المادي المضيّق للعولمة إلى مستوى التعقيل الروحي الموسّع، وذلك على ضوء مبادئ مادية تتمثل في :

- **مبدأ الفضل** : مفاده التنمية الصالحة لا تكون إلا بتكامل المقوّم الاقتصادي مع المقومات الأخرى للتنمية، ودوام اتصاله بالأفق الروحي .

مبدأ الاعتبار : مفاده أنّ العلم النافع لا يكون بالنظر في حكمة الشيء قبل سببه، وفي مآله قبل حاله ، أي أن العلم لا يجب أن يوّرث المضار

مبدأ التعارف: مفاده أنّ التواصل السليم لا يكون إلاّ بكلام طيّب بين المتكلمين بعضهم أكرم من بعض، أي أن تكون العلاقات مبنية على الحوار والتفاهم.

---

[32] طه عبد الرحمان: روح الحداثة ،– المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى. ص84.

ولهذا نجد **طه عبد الرحمان** يضع مسؤولية درء آفات العولمة على عاتق كل مسلم [33] و في هذا قال:"**إن الدين الذي يقدر على قهر العولمة هو دين الإسلام** "[34] أي من مهمة المسلمين .

إن جوهر مشروع طه عبد الرحمان يكمن في أن نتميز عن غيرنا في المعترك الفكري المقبل ،أي أن يكون لنا حقنا في الإبداع الفلسفي المختلف ، وأن نضع الكيفية التي بها نحقق ذلك الاختلاف المتمثل في تجاوز التقليد والتأصيل لمفاهيم ومصطلحات تتناسب والمقصد الأخلاقي الإسلامي الإنساني، الأمر الذي لا يجعلنا صورا منسوخة عن غيرنا.

ولا مخرج في رأيه مما تعانيه المجتمعات الإسلامية المقلدة والمستوردة لهذه المفاهيم إلا بالدين الإسلامي حيث يقول:"**لا عاصم اليوم من طوفان العولمة إلا بسفينة الوحي الإسلامي**

وللخروج من نفق التّبعية والتقليد وضع **طه عبد الرحمان** مشروعا فلسفيا يتمثل فيما أسماه **فقه الفلسفة** وهو:" **علم ينظر في الأعراض الذاتية للفلسفة ، ويستخرج قوانينها ويرتّب مسائلها** "[35]، أي أنّ هذا العلم يتمثّل في الكيفية التي بها نتحرّر من التّبعية لفلسفة الغربيين، وهي كيفية نبدع من خلالها على مقتضى فكرنا وواقعنا، ونستشكل بها ما يهمنا في حالنا ومآلنا. إذن فغاية هذا المشروع تتمثّل في خلق فضاء نتفلسف فيه بتوجيه من رؤيتنا الخاصة، من هوّيتنا الخاصة، من حقائقنا وأوضاعنا ومشاغلنا، وانطلاقا من مفاهيمنا ومصطلحاتنا وهكذا نستقلّ بفكرنا ونبدع كما يبدع غيرنا .

وقد جعل لهذا المشروع – فقه الفلسفة – أركانا أربعة تتمثّل في :**الترجمة والتعبير والتفكير والسلوك**.

تأكيد طه عبد الرحمان على الخصوصية الثقافية يعني أمورا عدة ، على رأسها التمرد على الحضارة الغربية التي تريد أن تكون النموذج الأوحد عالميا ، هو يرفض هذا النموذج ، بل يعمل على مواجهته وعدم الاستسلام لمتطلباته التي يريد أنصارها فرضها على المجتمعات العربية الإسلامية ، يواجه الحضارة الغربية بالحوار معها ، وبتقويم اعوجاجها، ووضع وإبداع المفاهيم الجديدة الأصح والأصلح للبشرية، نظرا لبعدها الإنساني وقبل ذلك أساسها الأخلاقي.

موقف حسن حنفي : يرى صاحب مشروع التراث والتجديد المفكر حسن حنفي "أن العولمة لا ترجع إلى تطور الرأسمالية ولا يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، بل ترجع إلى حضارات مضت كانت قد احتلت صدارة العالم منذ زمن غابر، ونشأت بين هذه الحضارات حروب كثيرة من أجل السيطرة على الكون مثلا حروب "روما" و"قرطاجة" و "حروب فارس" و"اليونان" وجاء بعد ذلك الحضارة الإسلامية لتخلف الإمبراطوريتين الرومانية

---

[33] بوزبرة عبد السلام :موقف طه عبد الرحمان من الحداثة ،ص116.

[34] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، ص87 .

[35] طه عبد الرحمان : فقه الفلسفة 1- الفلسفة والترجمة – المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب ،1995، ص264 .

والفارسية ولترث الشمال بانتصار الإسلام جنوب القارة الأوربية وجنوب إيطاليا والبلقان، ولكن بعد ضعف وتقهقر المسلمين عادت السيطرة للغرب"[36]

كما علق على العولمة حنفي **" ليست العولمة مسألة فقهية تختلف حولها الآراء ،بل هي مسألة صراع ومقاومة ، دفاع عن الاستقلال ضد التبعية "**[37]

أما المفكر الجزائري **مولود قاسم نايت بلقاسم** فإنه يفضل استخدام كلمة **إنية** على الهوية لأنها مصطلح أصيل والتي تدل على الحال التي يكون عليها المتكلم أو من الضمير"**أنا**" الدال على المتحدث ، وبذلك تكون كلمة **إنية** بديلا عن كلمة هوية التي تأتي من لفظ هو" وكأن الرجل لم يستسغ أن يطلق هذه الفكرة المنسوبة إلى الضمير الغائب "هو" بل ينسبها إلى الضمير المتكلم "أنا" حتى يكون لها وقع أكبر على النفس ، وتنبيه أقوى على لإيقاظ الاحساس بالذات والشخصية .[38]

ويبين مولود قاسم مفهوم الإنية فلسفيا على نهج ابن سينا قائلا :" أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية وهي التي تكلم عنها ابن سينا"[39] فالإنسان ليس فردا معلقا في الهواء يقول أنتمي إلى الإنسانية فقط ، بل هو كائن مرتبط بجماعة بشرية ، يحمل تراثها وآمالها وآلامها وبذلك فقط يثبت وجوده كإنسان مفكر يعبر عن ذاته لا كإنسان وإنما ككيان حضاري يحمل وراءه تراثا وتاريخا وأفكارا . ويخاطب الأمة الإسلامية والجزائر خصوصا فيقول :وإذا ما أدى كل واحد منا واجبه في هذا المجال، في أوساطه ولدى أولاده، تمكنا أولا من المحافظة على عناصر هذه الشخصية ومكونات هذه الذاتية ، هذه الإنية، وعملنا في الوقت نفسه على اللحاق بالعصر...مع المحافظة على أنفسنا ،هكذا أرى الدور الكبير للتربية في كل سياسة تنموية ، وهذا ما ألح عليه كل الإلحاح على الأقل من وجهة نظري فيما يخص الجزائر"[40]

أما عناصر هذه الشخصية ، أما أركان هذه الأصالة ..فهي :الدين واللغة والتاريخ وحب الوطن"[41] هذه العناصر تنصهر كلها في بوتقة لتنتج مكونات الهوية الجزائرية أو ما يفضل تسميته مولود بـ "الإنية".

---

[36] حسن حنفي: ما العولمة ؟ ط1 ، دار الفكر المعاصر،بيروت ، 1999، ص18.

[37] المرجع نفسه ، ص 16

[38] بوعلام جوهري: البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم ،ص124.

[39] مولود قاسم :إنية وأصالة ، ص103.

[40] نفس المرجع ، ص 614.

[41] مولود قاسم نايت بلقاسم:أصالية أم إنفصالية؟ ص66.

وتعد **الإنية** مرحلة من الإيمان تتحد مع مرحلة أخرى تأتي لتكون بعد ذلك ما يسمى بالأصالة والأصالية[42] حيث عندما يتكلم مولود قاسم عن هذه الإنية يقارنها بفكرة الجوانية عند أستاذه عثمان أمين ويقارب بين الفكرتين فيقول:"وقد تعددت مؤلفات الفقيد عثمان أمين كتعبير عن اهتماماته المتنوعة الدائرة كلها حول محور واحد، هذه الجوانية التي يمكن أن تلخص في الإنية، أو المطابقة التامة لجذور الأنا والمحافظة على جميع عناصرها الذاتية " [43] اهتم مولود قاسم كثيرا بفكرة الإنية اهتم ،حتى أنه عنون كلمته الاختتامية للملتقى الثامن للفكر الإسلامي ببجاية 1994 بعنوان "إنيتنا أو منيتنا" كما أفرد لها عنوان كتاب بـ "إنية وأصالة"

خاتمة:

العالم اليوم يقف على مفترق طرق، تتقاذفه أمواج العولمة العاتية، و تتجاذبه فكرة الصراع التي أصبحت مصدر تهديد للشعوب و الأمم و الحكومات و الدول، لدفعها إلى الرضوخ لإرادة القوة الدولية الوحيدة التي فقدت المقومات الحضارية للقيادة الإنسانية الهادفة إلى الخير. و بهذا فالتواصل الثقافي ضرورة فرضتها الأوضاع، فبالرغم من وجود عوائق تحول دون تحقيق هذا التواصل،مثل التعصب و النظرة الدونية للآخر، إلا أن هذا لم ينل من عزيمة الشعوب في تحقيق آمالها و الوصول إلى تطلعاتها. إلى صياغة بديل عن هذه العولمة ، من ذلك إقامة تكتلات مناهضة لسياسة العولمة المهيمنة ومقاومتها بالحفاظ على الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية ، وهذا لا ينجح إلا بمدى عمق عملية الانخراط الواعي في عصر العلم والتكنولوجيا ، والوسيلة في كل ذلك هي اعتماد الإمكانيات التي توفرها العولمة نفسها، أعني الجوانب الإيجابية منها. وعموما لسنا مجبرَين أن نكون أميركيين أو أوروبيين أو غير ذلك بل يجب أن أحافظ على هويتي وثقافتي وعاداتي وأخلاقي، مع الاستفادة بالطفرة العلمية الناتجة عن العولمة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

- صياغة إستراتيجية عربية للتعامل مع العلم والتكنولوجيا الحديثة، وإعادة النظر في المناهج الدراسية والجامعية على نحو يهدف إلى تأصيل الملامح الحضارية في الشخصية العربية لمواجهة تحولات عالم اليوم.

-التنسيق والتعاون بصورة متكاملة في وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والإعلام، والأوقاف والشؤون الإسلامية، والعدل؛ وذلك للمحافظة على الهوية الإسلامية من أي مؤثرات سلبية .

---

[42] بوعلام جوهري :البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، ص 99.

[4343] مولود قاسم :مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند الخواجات ،مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي ،والشؤون الدينية ،الجزائر ،عدد 60_61 سبتمبر 1978،ص5

– ضرورة خلق إعلام ناضج يبني الإنسان العربي الواعي والقادر على أن يكون فاعلاً في حوار الثقافات، ومصونًا ضد أخطار العولمة، ومحافظًا على هوية الأمة وقيمها.

– ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها؛ حيث إن حرية الثقافة وإنْ كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساس في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها.

– التعرف على العولمة الثقافية، والكشف عن مواطن القوة والضعف فيها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية منفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية، وفى الوقت نفسه نعرِّف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة.